العرب
الإثنين 2020/03/23
السنة 42 العدد 11655

الأدباء هم الأكثر استفادة من الوباء

كورونا تقهر الصخب الثقافي وتعمق التأمل والقراءة والدهشة

تعيد حالة العزلة التي فرضها انتشار فايروس كورونا على المبدعين اكتشاف الأنا وتجعل لها معاني عميقة وربما جذابة، كما ترسّخ منابع القراءة والتزوّد المعرفي في مرحلة خصوصية، بينما تخلق قنوات بديلة فيها زخم معرفي، وتوفر للإبداع ألوانا وثيمات تواكب تحوّلات اللحظة، وتفرض في النهاية نواميسها على الكاتب.

شريف الشافعي
كاتب مصري

فيما يواصل فايروس كورونا اجتراءه على الزحام، ملقيًا نظرات باردة مشحونة بالتشفّي على مسارح مغلقة ودور سينما معطّلة وتظاهرات ثقافية وفنية أطفئت مصابيحها وتأجلت مواقيت انعقادها، يلملم المبدع نثارات ذاته المتطايرة كشظايا هذا الوجود المنهار، قانعًا بهدنة إجبارية يقضيها في قاعة العُزلة المغلقة، المفتوحة على فضاءات التأمل، حيث الإقامة المنزلية بشروطها المفروضة، وطقوسها النفسية المُربكة، وتوتّراتها المُلْهِمَة المُغَايرة.

نتساءل هنا هل العزلة خسائر مطلقة، مادية ومعنوية، ورضوخ لعدم الاندماج الاجتماعي والمرض النفسي على طول الخط؟

عزلة الأديب

لم تصل إجراءات مواجهة فايروس كورونا المستجدّ من حيث صرامتها وحيّز تعميمها المكاني ومداها الزمني إلى توصيف الحالة الراهنة، والمتوقعة في القريب، بالتعرض الصادم لتلك الآثار بالغة الخطورة للعزلة، كالإحساس بالوحدة والتبدد والانزواء وفقدان القدرة على إقامة علاقات تفاعلية، وصولًا إلى انعدام الثقة بالآخرين والاكتئاب المَرَضيّ والاستسلام للأفكار والسلوكيات المزعجة والغياب المزمن للفرد كإنسان وكائن حي.

> العزلة حتى في أحلك الأزمات والمآسي الإنسانية العامة قد تكون وقودا لفلسفات متوهجة وتيارات أدبية وفنية متقدة

من جانب آخر، للإبداع استثناءاته وتجلياته، الأمر الذي وصل بالعزلة؛ حتى في أحلك الأزمات والمآسي الإنسانية العامة مثل الحروب العالمية والمجاعات والأوبئة وغيرها، إلى أن تكون أحيانًا وقودًا لفلسفات متوهجة وتيارات أدبية وفنية متّقدة، على الرغم مما قد تفرضه على المبدع من ضغوط نفسية واجتماعية، تنعكس على طريقته في ممارسة إبداعه.

يعيش الأديب حاليًا وضعًا اضطراريًا ملتبسًا يدفعه بقوة إلى تحسُّس ما يمكن وصفه مجازًا بعطايا العزلة، إذ يصعب القول إنه تُرتَجَى من الابتلاءات منافع. فإذا كان فايروس كورونا تمكن من قهر الصخب الثقافي بتجمعاته الرصينة المفيدة والضحلة الثرثارة، وكبّد قطاعات ثقافية وفنية خسائر مادية فادحة، كما في مجال المتاحف ونشر الكتب والإنتاج السينمائي والمسرحي والحفلات الموسيقية والغنائية وغيرها، فإن سلوك الفايروس المتهجّم الشرس أحيا لدى الأديب نظريات وسلوكيات مضادة، سعيًا إلى استثمار هذه العزلة في اكتشاف الذات وقنص العالم وتحقيق فوائد مباشرة، هكذا بكل تحديد، ودون مواربة.

ثمة مساران يمضي فيهما الأديب تحت مظلة العزلة الطارئة، أوّلهما بمعاونة المؤسسات الثقافية، الرسمية والأهلية، الخدمية والتجارية، التي لم يعد لها سوى الإعلان عن نشاطات وفعاليات واستراتيجيات مختلفة، ذات طابع إلكتروني في أغلب الأحوال، للحفاظ على المنظومة، وملء فراغ المشهد بنتاجات ملائمة.

أما المسار الثاني، فهو بيد الأديب وحده من حيث خططه الذاتية لإنعاش قراءته وتلقّيه وتحصيله الذهني والجمالي، ومن ثم تعزيز فرص نشاطه وابتكاره وإنتاجه، انطلاقًا من الفهم الجيد للجوانب الإيجابية للعزلة، وهضم كافة الخبرات التي توصّل إليها الفلاسفة والمبدعون وعلماء النفس والاجتماع.

وفق المسار الأول، انطلقت بالفعل مبادرات من قبيل "القراءة حياة" التي دشنتها الدار المصرية اللبنانية في القاهرة لتوصيل الكتب إلى المنازل بالمجان، لعل هناك من يرغب في تخزين وجبات ثقافية دسمة كغذاء للروح.

كما أعلنت وزارة الثقافة المصرية عن مبادرة "الثقافة بين إيديك"، لبث المواد الثقافية والفنية عبر قنوات اليوتيوب وحسابات السوشيال ميديا الخاصة بقطاعات الثقافة المتنوعة. تؤكّد جميع دور النشر أن الإقبال على شراء الكتب، خاصة الروايات والقصص القصيرة تضاعف، وشمل أعمالا لأدباء عرب وعالميين، للدرجة التي نفدت الكثير من طبعات روايات مثل "الطاعون" لألبير كامو، و"الحرب في زمن الكوليرا" لغابرييل غارسيا ماركيز، وغيرها من الروايات التي تتجاوز حدود الأعمال التي تدور في حدود المرضى والأمراض المزمنة.

بإمكان الأديب المتابع للوسائل التكنولوجية الحديثة التي ستسلكها بلا شك سائر المؤسسات والمنظمات والمراكز الثقافية، الاستمرار في ملامسة المحتوى الإبداعي من عروض مسرحية وموسيقية وسينمائية وأدائية وغيرها، إلى جانب الكتب بصيغتها الرقمية، كما أن دور النشر ستبالغ في تقديم منح وتخفيضات متميزة لتعزيز القراءة الورقية.

غياب الآخر

هنا يأتي المسار الثاني، الأكثر أهمية، الذي ينبغي على الأديب أن يوجده ذاتيًا لاستغلال عزلته على نحو مثالي يتسق مع مشروعه هو بشكل خاص دون غيره، وسرّ النجاح في هذا المسار هو الانتقاء، فالأمر ليس بالحشد الكمّي، وإنما بالاختيار الدقيق: ماذا يقرأ الأديب، وعلى أيّ مُنتَج إبداعي يطّلع؟ إلى جانب استشفاف روح العزلة كحالة صفاء وتجرّد وتصوّف، وانعتاق من الفوضى والعشوائية والتشتت والضجيج والانشغالات المجانية المؤرِّقة، واقتراب من العمق الغائي للجوهر الإنساني.

هذا التكييف النفسي ضروري للأديب ليتجاوز إبحارُهُ في العزلة مجرّد الحصول على ساعات وقت إضافية ينعم فيها بالقراءة والاطلاع والكتابة والراحة من الأعباء الحياتية، قياسًا ببرنامج حياته السابقة، فكيفية الإفادة من هذه الهدايا الزمنية أكثر أهمية من عددها، لتتحول الهدايا إلى هِداية في نهاية المطاف.

كتابة العُزلة، هي أن ينسج الأديب خيوطه من ماهيّة هذه العُزلة، فيكون معتزلًا الشوائب، منسجمًا مع ذاته، متصالحًا معها، كي يصير بإمكانه الاحتفاظ بوحدانيته وسط الحشود، وبمقدور وحدته الاتساع للوجود بأكمله.

في الانعزال خلع للأقنعة، وارتداد إلى الوجه الحقيقي من أجل ارتدائه، فيكون الكاتب عابرًا فوق حروفه إلى نواته وكُنهه وهدوئه وطمأنينته، ويحلّق خارج التفكير المنمّط والهواجس الطنّانة والاستنباطات الآلية، مدفوعًا بالثقة والرضا والمرح والطفولية والتخييل الحر.

للعزلة متعة مخبوءة في طياتها، بالتخفف من المتطلبات الجسدية والحسية، واللجوء إلى الصمت والتدبّر لبلوغ فوانيس التنوير وشموع التيقظ، وهي بهذا المنظور قد تصل إلى أن تكون عبادة أو سلوكًا إيمانيًا محمودًا.

إن الأديب في عُزلته، خارج الأنساق الحاكمة، توّاق إلى نزع القشور، واختراق الأسطح، حيث تنعقد الرهانات على الطاقات الداخلية، والقدرات الكامنة، والكنوز المستقرة في الضمير، والمساحات التي لم تُكتشف بعد في جزر الأعماق الدفينة.

قد يكون فقدان الآخرين، أو غيابهم مرحليًا عن شبكة معطيات الأديب، من الأثمان الباهظة التي يدفعها قبل انخراطه في عزلته، لكنه في المقابل يرى نفسه بوضوح للمرة الأولى، ليس كظل ولا كصورة في المرآة، وإنما يرى نفسه بعينيه، كشخص كامل الأهلية والتحرر، من غير فصام ولا ازدواجية، وهنا لا يصير التقيد الجسدي المحدود عبئًا كبيرًا، بالقياس إلى لا محدودية القفزات الروحانية والضوئية، واتساع الخطوات الذاتية التي لم تعد مقيّدة بآخرين.

إن مآسي كورونا واسع الانتشار كثيرة بالتأكيد، لكن بإمكان الأديب تطويع عزلته لتطوير ذاته وتغيير مفاهيم كثيرة عنده، يمكنها تعزيز قراءاته ومدركاته ومكتسباته، وتفجير همته الإبداعية بنشاط استثنائي ربما لم يُتح له من قبل في معركة الواقع وضغوطه الطاحنة.

يجب على عزلة الكاتب أن تدفعه إلى معانٍ إيجابية، كفضح القهر والظلم وتعرية الانتهازية والطبقية مثلًا، لا أن تكون باعثًا على التشرنق أو التعالي أو الاستغراق في الذاتية، فتنفصل كتابة الأديب المنعزل عن المتلقي؛ شريكه في هذه الحياة، شاء أم أبى.

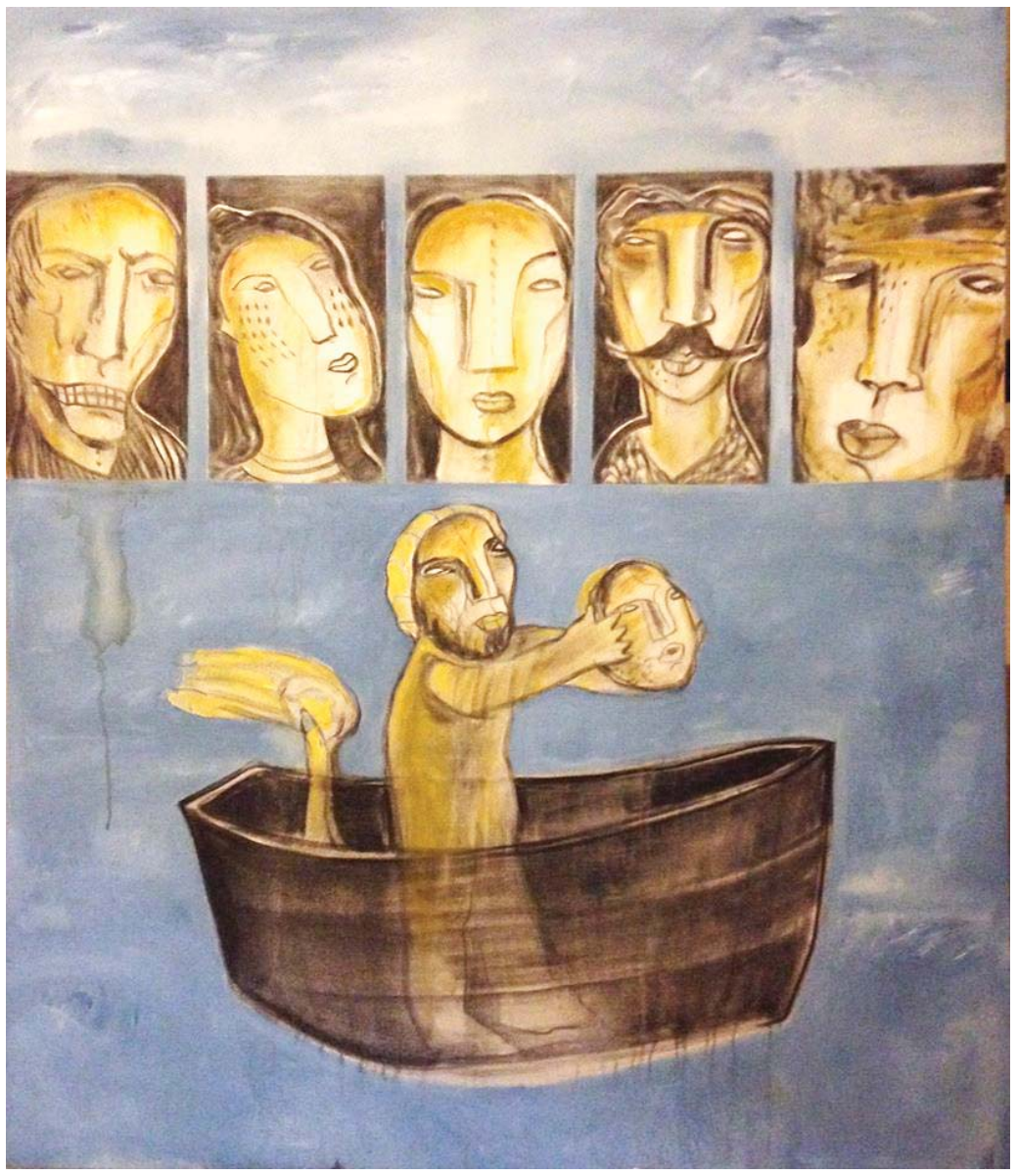

الكاتب يستعيد صورته من مرايا الآخرين (لوحة للفنان طلال معلا)

محكّمون شباب لجائزة منصور بن محمد للأفلام القصيرة

دبي – استعرضت لجنة التحكيم الشبابية لجائزة منصور بن محمد للأفلام القصيرة، الأفلام المشاركة بهدف التصويت لها من وجهة نظر شبابية.

وكانت لجنة تحكيم الدورة الرابعة 2019 – 2020، التي تضم في عضويتها نخبة من الشخصيات الرائدة في مجال الإنتاج السينمائي وصناعة المحتوى، وهم هاني الشيباني، المخرج السينمائي والمدير الفني لمهرجان العين السينمائي؛ ومسعود أمرالله آل علي، مخرج وسينمائي؛ ونهلة الفهد، مخرجة سينمائية ومنتجة، وقد اجتمعت اللجنة في وقت سابق لتقييم الأفلام تقنيا وفنيا. ويأتي تشكيل لجنة شبابية للتحكيم كخطوة جديدة في الدورة الرابعة تهدف إلى تقييم المشاركات من وجهة نظر شبابية إيمانا بأهمية رأي هذه الشريحة المجتمعية الهامة بوصفها الجهة المتلقية للمخرجات الإعلامية بشكل أساسي وأهمية دورها في التوعية بقضايا حقوق الإنسان التي تهتم بها محاور الجائزة.

واجتمعت لجنة التحكيم الشبابية التي تضم في عضويتها أحمد محمد الخزرجي، والمصورة الشابة ميثاء عبدالله الرميثي، ونورة خصيف طالب، في مقر هيئة تنمية المجتمع حيث تمت مراجعة كافة المشاركات وتقييمها من حيث نمط الطرح والأثر المتوقع للفكرة على جيل الشباب.

> الدورة الحالية من الجائزة تحظى بإقبال أكبر من المواهب الشابة، وبتطور لافت من حيث جودة المشاركات

وتحظى الدورة الحالية من "جائزة منصور بن محمد للأفلام القصيرة" بإقبال أكبر من المواهب الشابة، وبتطور لافت من حيث جودة المشاركات سواء من الناحية الفنية أو لجهة المحتوى وأفكار الطرح.

وتتمحور الأفلام المرشحة لدورة العام 2020 حول المواضيع الثلاثة الرئيسية للجائزة وهي؛ "الشباب وتعزيز ثقافة السلام"، و"ثقافات متعددة قلب واحد"، و"نعم للجسور لا للجدران".

وقالت ميثاء الشامسي، المديرة التنفيذية لقطاع حقوق الإنسان في هيئة تنمية المجتمع بدبي "تعدّ هذه المرة الأولى التي يتم فيها تشكيل لجنة تحكيم شبابية لتقييم المشاركات، وتأتي هذه الخطوة انطلاقاً من حداثة الطرح التي تشهدها الأفلام وتطورها من حيث الفكرة والإبداع وأهمية قراءة هذه الأفكار من قبل جيل الشباب الذين يمثلون شريحة كبيرة من الجمهور المعني بنشر التوعية بحقوق الإنسان".

وأضافت "يسعدنا التطور الكبير الذي شهدته مشاركات هذه الدورة والذي يؤكد أهمية سعي هيئة تنمية المجتمع إلى استثمار جهود الشباب في بث التوعية بحقوق الإنسان في كافة الأوساط المجتمعية، واستثمار المنصات الهادفة التي توظف الابتكار كأداة تعبيرية خلاقة في نشر ثقافة حقوق الإنسان على أوسع نطاق".

كان الإنسان ولايزال الركيزة الأساسية للتنمية والثروة الأغلى في دولة الإمارات العربية المتحدة، ومن هذا المنطلق تأتي جائزة منصور بن محمد للأفلام القصيرة الموجهة لفئة الشباب في دولة الإمارات بهدف التربية على حقوق الإنسان، لخلق جيل يعي حقوقه ويعرف واجباته لبناء مجتمع واع.

وتنطلق فكرة جائزة منصور بن محمد للأفلام القصيرة كمبادرة من قطاع حقوق الإنسان بهيئة تنمية المجتمع بهدف تشجيع فئة الشباب على الإبداع والابتكار عن طريق دمج المهارات الإبداعية الإعلامية والفنية بقيم ومبادئ حقوق الإنسان.

وتسعى الجائزة في رؤيتها إلى خلق "جيل يعي حقوقه" كما جاء في بيان تأسيسها، حيث أن رسالة الجائزة هي نشر وتعزيز ثقافة حقوق الإنسان في المجتمع الإماراتي من خلال السينما، إذ الثقافة والفن هما الباب الأول لخلق وعي متين.

الشباب لهم الكلمة

إحياء مئوية المؤرخ الناقد إميل توما

طولكرم (فلسطين) – نظمت وزارة الثقافة الفلسطينية بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، فرع طولكرم، ومركز إميل توما للدراسات، ندوة ثقافية إحياءً لمئوية ميلاد المؤرخ والناقد الفلسطيني إميل توما، بحضور كل من الدكتور سلامة سالم مدير الجامعة، والأستاذ عصام مخول مدير معهد إميل توما للدراسات، والكاتب والأديب محمد علي طه، ورولا أبوفاشه، القائمة بأعمال مدير مكتب وزارة الثقافة، ومديري وممثلي المؤسسات الرسمية والأهلية، وفصائل العمل الوطني، وعدد من الأدباء والمثقفين والمهتمين بالشأن الثقافي والطلبة.

وافتتح سلامة سالم الندوة مؤكدا "أهمية الحفاظ على موروث الفلسطينيين الثقافي وهويتهم الوطنية، وضرورة استمرار الجهود المبذولة في استذكار وترسيخ سير هؤلاء المناضلين والمثقفين في الذاكرة، وإبراز أهم إنجازاتهم"، مبيناً أن "توما يعدّ من الأسماء التي لعبت دورًا بارزًا في الحياة السياسة والثقافيّة في فلسطين"، متطرقاً إلى إسهام الثقافة في دعم العمل الوطني، "ومن واجبنا الحفاظ على هويتنا الثقافية وموروثنا الثقافي".

بدورها وضحت رولا أبوفاشه فكرة الاحتفاء برواد المئويات المثقفين منهم، ومن كان لهم باع طويل بإثراء الثقافة الوطنية بإبداعاتهم والتعريف بإنجازاتهم والاقتداء بسيرهم واستلهام تجاربهم من أجل تحقيق مستقبل واعد للأجيال الشابة.

وقدم كل من عصام مخول والكاتب محمد علي طه ورقتين تناولتا أبرز محطات حياة إميل توما، ووضحا كيف تكون الثقافة داعمة ومؤثرة في الحياة السياسية والوطنية، بصفتها الحافظة للموروث الثقافي والوطني.

> إميل توما لم يكن فقط مؤرخا بل ساهم في الحفاظ على الذاكرة الثقافية الفلسطينية ونقلها للأجيال اللاحقة

كما قدم عبدالرحيم غانم، عضو هيئة التدريس، ورقة حول الدور الفعال الذي لعبه توما في الحياة السياسية والثقافية، وكيف عمل على توظيف الثقافة في دعم الحالة الوطنية في تلك الفترة، مبيناً أن توما لم يراقب التاريخ ويسجله من موقع المحايد، بل شارك في صنع التاريخ ثم سجله من موقع الملتزم.

وأدار الندوة الشاعر محمد علوش، مقدماً شرحاً وافياً عن حياة المؤرخ توما.